

- ٩٧ -

لخلق جمال حسي لا يمكن أن يكون عملاً فنياً . والشعر الذي يهدف إلى خلق الجمال لن يتاح تذوقه إلا لصفوة من الناس : « والفن الذي تتجلى صورته المتألفة القوية الكاملة في الشعر ليس سوى نوع من الترف العقلي لا يرتفع إلى مكانة تذوقه إلا القليل النادر من ذوى الفكرة » . ولذا كان على الشعر - فيما يرى لو كنت دى ليل - ألا يهتم أبداً بمطالب الحياة المادية المعاصرة ، إذ « القطيعة كاملة بينه وبين الدهماء » . وطالما ردد « لو كنت دى ليل » دعوته إلى الرجوع إلى شعر اليونان ، عصر الشعر الذهبي ، الذي لم يتيسر بعده للشعر أن يبلغ مدى ما وصل إليه في ذلك العصر . وهو في دعوته تلك متأثر بمعاصريه من أصحاب النزعة المليينية التي مهد لها في فلسفته « هيكل » كما أشرنا من قبل .

وعلى الرغم من أن الدعوة إلى استقلال الشعر عن الغايات التفضية ، وإلى أن غايته هي خلق الجمال في ذاته ، كانت مبدأعاماً للبرناسيين ضاروا به على رأس دعاة الفن للفن في الشعر ، فإن هذا المبدأ العام ترك آثاره البعيدة المدى في اختيار موضوعات الشعر ، وطريقة سياق الصور فيها . وقد كانوا في هذه الدعوة متأثرين بالفلسفة النظرية المثالية . . وقد تأثروا في الشطر الآخر من دعوتهم بالفلسفة الوضعية والتجريبية التي سارت النهضة العلمية لعصرهم .

ذلك أن نقاد الأدب لعهدهم أرادوا أن يوفقوا بين مطالب العلم ومطالب الفن ، وأن يجمعوا إلى عنايتهم بالحقيقة عنايتهم بالخصائص الجمالية . وحوالي منتصف القرن التاسع كانت قد عظمفت ثقة الكتاب والنقاد في العلم ، وأنه سيحل كل مشاكل الإنسان . وقد دعت الفلسفة الوضعية التي أسسها « أوجست كونت » ( ١٧٩٨ - ١٨٥٧ ) والفلسفة التجريبية على يد « جون ستيوارت ميل » ( ١٨٠٦ - ١٨٧٣ ) إلى خروج الإنسان من حدود ذاته طلباً للمعرفة الصحيحة ، وأن العلم هو الذي يقود إلى هذه المعرفة لا القلب ، كما كان يرى الرومانتيكيون .

وموجز قضايا الفلسفة الوضعية والتجريبية التي تهمتنا هنا هي : أن المعرفة المشتملة هي معرفة الحقائق وحدها ، وأن العلوم التجريبية هي التي تمدنا ( م ٧ - دراسات ونماذج )